قطوف | אֶשְׁכּוֹלוֹת | نشرة لغوية إلكترونية | עָלוֹן חֶדְשִׁי אֶלֶקְטְרוֹנִי
يصدرها: مركز الدكتور إبراهيم سعدي لأبحاث تدريس اللغة العربية وقسم اللغة العربية وآدابها
יוצא לאור ע"י מרכז אברהים סעדי לחקר הוראת השפה הערבית והחוג ללשון ערבית
السنة 3 ❁ العدد 18 ISSUE ❁ كانون٢ JAN 2015 ❁ ربيع١ 1436 هـ

أقلام من البادية

خَواطِرُ وَأَشْعارٌ خَطَّها يَراعُ:
الدكتور بديع القشاعلة

الصفعة

كنتُ حينَها في الصفّ التّاسع الإعداديّ.. وكانت صفوفنا جميلة.. مصطفّة كَسِرْبٍ من الطيور المهاجرة من الشمال الى الجنوب.. وكان صفّي في آخر السّرب وكنا نسمع أصوات العصافير وهي تداعب اوراق الشجر، ونشم رائحة التراب المبلول.. وكانت مدرستنا قريبة من المدرسة الابتدائية وصفوف الأوائل.. فكنا نصغي لصوت المعلّمات وصياح الأطفال وهم ينشدون الأحرف الابجدية.. ألفٌ! باءٌ! تاءٌ! ثاءٌ.. وكانت أصوات الأطفال تشكل لحنًا جميلًا ومتناسقًا.. يذكرني بصوت الأوركسترا في مسرح «كاترينا» في سانت بطرسبورغ.. رغم الفارق الكبير بين الأماكن.. وأذكر في تلك الفترة حين كنّا نخرج كالقطيع متّجهين صوب حنفيّة الماء لنشرب ونستريح من تعب الدرس.. فبين الدرس والدرس كنا نستغل خمس دقائق نشرب الماء فيها ونتنفس الصعداء.. كانت حنفية الماء بعيدة عن الصف ويفصل بيننا وبينها ساحة رملية مليئة بالحصى الصغير.. هذه كانت عادتنا.. وليس لنا من ترفيهٍ سوى هذا الامر.. وفي يوم من الأيام الحارّة والشمس تكاد تقبل جبين الأرض والحرّ شديد، خرجنا كعادتنا لنشرب ونستريح من ملل الدرس وصخب المعلم.. وبينما نحن على هذا الحال وأذا بالطلاب يفرّون فرارَهُمْ من قَسْوَرَة (أسد).. هرب الجميع كالفئران حينما ترى قطًّا شرسًا شاغرًا فاه.. وأصواتهم تدوّي في الأفق: الأستاذ سمير! الأستاذ سمير! كان الأستاذ سمير مناوباً في ذلك اليوم وهو معلم شرسٌ لا يرحم أحدًا.. طويل القامة عريض الكتفين ذو عينين جاحظتين تكثر فيها الشعيرات الدموية.. وأنفه معقوفٌ ورقبته طويلة وتميل الى الاعوجاج.. ولو رأيته لَمُلِئْتَ منه رعباً ولولّيت منه فرارًا.. صوته كالرعد ترتجف له الأوصال وتتكمش له الأحشاء.. وكأنه عزرائيل أو شيطان.. وكنت أنا من بين الطلاب.. وخفت كما خافوا وارتعبت كما ارتعبوا.. الا اني أبيتُ على نفسي الهرب.. وسرت بخطوات عادية متجهًا الى الصفّ وقد تسارعت دقّات قلبي بشكل لم اعهدُه من قبلُ. هه! يا لي من أحمق! كان لا بُدَّ لي أن أهرب كما هربوا.. ولكني تذكّرت حينما كنت في الصف الرّابع الابتدائي، حينما تعلمنا درس «الصّبيّ وعمر بن الخطّاب» حينما مرّ عمر رضي الله عنه بصبيان يلعبون فهربوا إلّا عبد الله بن الزبير، فقال له عمر: لِمَ لم تفرّ مع أصحابك؟ قال: لم يكن لي جرم فأفرَّ منك، ولا كان الطريق ضيقًا فأوسّع عليك! وكنت أظن المعلم سيسألني ذلك السؤال فأجيبه ذلك الجواب.. هه! أحمق! وسرت بخطواتي المرتجفة أصارع الهرب حتى دخلت صفي وجلست مكاني.. وبعد لحظات دخل ذلك المعلم وقد انتفخت أوداجُه وتطاير شعره وجحظت عيناه واحمرّ أنفه.. وسار باتجاهي ووقف بجانبي، وكنت أظنه سيكلمني. فنظرت اليه لأسمع سؤاله، فرفع يده الى السّماء وهوى بها على وجهي.. وطراخ!!

ودوّت صفعةٌ في أرجاء المكان وأهتزّت لها أوتار قلبي وانكسر شيء ما في داخلي.. وخرج المعلم من الصف، وبقيت دمعة في مقلتي أصارعها واكفكفها.. وما زلت أسمع أصوات الأطفال ينشدون خلف المعلمة أحرف الهجاء برتابة.. ألفٌ! باءٌ! تاءٌ! ثاءٌ!

إعداد، تحرير وتصميم: الدكتور موسى شواربة، musa.shawarbah@mail.huji.ac.il ❁ رئيس المركز: د. سليم أبو جابر، saleemk9@hotmail.com © جميع الحقوق محفوظة
העורך: ד"ר מוסא שוואַרבה ❁ كلية كي الأكاديمية للتربية، عزريئيل نيتساني ٦، بئر السبع، ☎ ٠٨-٦٤٠٢٧٧٧ ❁ המכללה האקדמית לחינוך ע"ש קיי, רח' עזריאל ניצני 6, באר-שבע, טל' 08-6402777

عاشقة المطر

يومٌ من أيّام الشتاء.. والجو ساكن، الّا من صوت نباح كلب بعيد وصياح ديك.. والشمس تنحني نحو المغيب، تطرّز صورةً بهيةً.. وأجلس في غرفتي اكتب قصيدةً شعريةً، ومن خلف زجاج شباكي الرثّ، ارقبُ الأضواء الخافتة، التي ارتمت على ارصفة الشارع، فانعكست لمعتها على المطر.. وكان الظلام يغطي المكان واعمدة الضياء ترتعش من البرد وتتمايل ذات اليمين وذات الشمال وورقة من تين تتطاير وتتقلب بين انامل النسمات، تنقلها الى حيث لا تريد، ومصابيح الشارع القديمة تضيء على استحياء، وتبعث الضياء جاهدة فلا تستطيع الا ان تضيء نفسها ورشّات المطر، وتحضرني في تلك اللحظات الهادئة البطيئة عاشقة المطر.. كانت تقف تحت زخّات المطر ولا تخشى البلل.. تعانق القطرات وتحتضن الغيوم في السماء، وترقص ضاربة بقدميها كل المياه.. متوشحة رداءَها الأسود الطويل، وحبات المطر تتراقص على وجنتيها، ويداعب الهواء رداء رأسها، فيخفي خلفه ابتسامة جميلة.. تقف بمعطفها الأنيق وتداعب المطر بأناملها الرشيقة، ولا تزال الابتسامة ترتسم على شفتيها.. عاشقة المطر تقطن خلف الجبال البعيدة، حيث تنحني الشمس، ويسكن النهار.. في مكان بعيد.. وعلى صوت وقع المطر، أصحو من ذاكرتي، فأنظر الى ورقة التين، تتقلّب مع تقلّب النسمات وتهدأ مع هدوء الليل الساكن، إلّا من نباح كلب بعيد وصياح ديك.. ولا تزال أعمدة الشارع تتمايل ذات اليمين وذات الشِّمال.

فرحة تلميذ

كنتُ في أحد الأيام مع أبي وأمي وإخوتي في رحلةٍ عائليةٍ، وبينما نحنُ نلعبُ ونركضُ تعثّرت قدماي فسقطتُ على حجرٍ كبيرٍ، فجرحتُ كتفي. كان جرحي عميقًا وكبيرًا.. هذا ما رأيته في ملامح أبي وهو يتفحصني، لقد ارتعب عندما رأى الجرح وكذلك أمي.. قال لأمي: لا بدّ من المستشفى، فأمسكت أمي بجرحي واحتضنتني وساق أبي مسرعًا إلى المستشفى.. لقد أرعبني خوفهم.. وفي الحقيقة، في حينها لم أشعر بالألم بعد، ولكني عندما وصلتُ المستشفى شعرتُ بألمٍ شديدٍ في كتفي ورأسي وعنقي.. وقد خاط الطبيب جرحي وأطلقوا سراحي بعد كثير من الفحوصات.. عدتُ إلى البيت ويا للمفاجأة.. لقد جاؤوا جميعًا ليطمئنوا عليّ، كلهم.. كانوا يقولون لي الحمد لله على سلامتك.. مسكين كيف حدث هذا.. ويمسحون بأيديهم على رأسي.. كم كنت سعيداً بهذا الأمر.. أصدقائي في الحارة تجمعوا من حولي.. جاءت نساء الحارة لتطمئن عليّ، واشترى لي أبي كل ما أريد وكانت أمي تبدل ملابسي.. كنت سعيدًا جدًّا.. يا لَسعادتي! وأفضل ما في الأمر أني مُعفًى من الذهاب إلى المدرسة، كلهم يذهبون إليها إلا أنا، فأنا مصاب وجرحي مخيط.. وفي خِضَمّ سعادتي هذه تذكرت أبناء صفي، لقد اشتقتُ اليهم.. لماذا لم يأتوا لزيارتي؟ لعلهم مشغولون بحل الوظائف..

وسارت الأيام، وشفي الجرح وآن أوان العودة إلى المدرسة.. بصراحة اشتقتُ إليها، واشتقتُ إلى كل من فيها.. وفي الصباح لبستُ ملابسي وتهيأتُ للذهاب إليها، و قلتُ في نفسي سيستقبلونني بسعادة وسأحكي لهم حكايتي، وانتظرتُ هذه اللحظة، وجاءت معلمة الدين.. كانت متجهمة على غير عادتها، فقلتُ في نفسي: ستسألني عن حكايتي وسأسردها لها كلها، وقد شعرتُ بسعادة كبيرة وانتظرتُ السؤال.. ولم تسألني.. توجهت إليّ دونما ابتسام وقالت لي:

- أين الوظيفة؟

فقلت لها:

- أي وظيفة؟ كنتُ غائبًا..

فاستشاطت غضبًا.. وأمسكت بمسطرتها.. وأشاحت بها في وجهي.. وضربتني دونما سؤال..

فسقطت دمعةٌ من عيني وجلستُ دونما حراك.. وهبطتْ سكينةٌ على المكان..

وظيفة الحساب

كنت حينها في الثامنة من عمري وكنت اذهب إلى المدرسة مع أقراني.. أُهرولُ في ساعات الصبح الباكرة أسابق الفراشة الجميلة.. كانت الفراشة ترفرف بجناحيها من حولي حرة طليقة.. سعيدة كل السعادة.. فهي لم تذهب في حياتها إلى المدرسة ولم تكن تجلس الساعات الطوال لحل الوظائف البيتية.. وليس لها معلم يعاقبها، إنْ هي لم تحل الوظيفة.. لا أحد يقول لها افعلي هذا أو ذاك، بل لها أن تفعل ما تشاء.. ثم نفترق وأذهبُ في سبيلي، وأصل إلى المدرسة فأدخل الصف ويبدأ الدرس الأول فالثاني فالثالث وهكذا.. وما أن يُدَقّ الجرسُ معلنًا نهاية الدرس الأخير، حتى أطيرُ فرحًا.. وكان قلبي يرقص متهللًا وتعلو وجهي الاشراقة.. وعندما أصل إلى البيت، كانت أمي تتلقاني بصوتها الحازم.. الوظائف البيتية.. اللعنة على الوظائف البيتية! فلتخطف الشياطين كل الوظائف البيتية! اذكر ذلك اليوم الذي أعطاني فيه معلمُ الحساب وظيفة بيتية طويلة ومعقدة.. بصراحة لم أفهمها ولا أدري كيف هو يفهمها.. ولكن لا مفرّ.. إلى معلم الحساب المستقر.. من لا يحل الوظيفة يضربه ضربًا مبرحًا.. أو على الأقل يصرخ فيه صرخة تخلخل العظم.. كنتُ أخاف منه كثيرًا وكنتُ أداوم على حل الوظائف كلها.. كيف لا وأنا أراه كل يوم يسخط من لا يحلّ.. وفي ذلك اليوم أخذت كتاب الحساب وتوجهت إلى أبي علّه ينجدني من هذه الورطة.. فتمعّن أبي في الكتاب ثم نظر ثم عبس وبسر.. وتغير لون وجهه وتنحنح ثم تحرك من مكانه مرتين.. عرفتُ أنه يجد صعوبة بالغة في فهم المسألة.. فقال لي وهو يحرك حاجبيه:

- ما هذا الكتاب؟ كيف تتعلمون هذه الأشياء؟ أنا لا افهم شيئًا منه على الإطلاق.

ثم أعطاني إياه وقال:

- اذهب إلى أمك ستشرح لك المسألة أفضل مني.

فعرفت حينها أني لن أجد حلًا.. ولم استطع حل الوظيفة المعقدة.. ونمتُ من ليلتها خائفًا مرتعدًا من ذلك المعلم.. غداً سيسخطني لا محال.. وحلمتُ في نومي أني اركضُ في وادٍ طويل وملتوٍ وكان معلم الحساب يركضُ خلفي وفي يده عصا غليظة يلوح بها.. والغريب في الأمر أنه كان على صورة حمار ضخم.. له أذنان طويلتان وانف مدبّب.. كاد أن يفتك بي لولا أني أفقتُ من نومي.. وذهبتُ إلى المدرسة.. ودخلتُ الصف لا اكلم أحدًا.. كل ما يجول في خاطري تلك الوظيفة البيتية التي لم أحلها.. فانا اليوم هالك لا محال! ودخل معلمُ الحساب.. ذلك المعلم الضخم ذو الفكين الكبيرين.. عيناه جاحظتان وانفه طويل معقوف وكرشه مدلّاة فوق حزامه.. دخل إلى الصف وصوت هدير أنفاسه يسمع من بعيد.. جلس على الكرسي واخذ ينظر في يوميّات الصفّ.. ثم عطس فتطاير رذاذ عطاسه في أرجاء الغرفة.. ومسح بكم قميصه ما تطاير على شفتيه من سوائل.. ونظر إلينا وتنحنح وقال:

- يا الله! توكلتُ على الله! وقام من مكانه بعنف واستطرد.. الوظيفة! تفتيش! فارتعدتُ حينها.. وأصابني الذهول وانتظرتُ مصيري المحتوم.. وبينما أنا على هذه الحال أحبسُ أنفاسي بصعوبة.. وإذا بمدير المدرسة يدخلُ إلى الصف دون استئذان.. كان مبتسمًا وبرفقة شخص آخر.. يحملُ حقيبة سوداء كبيرة.. صامتًا لا يتكلم.. قال المدير بصوت هادئ:

- السلام عليكم يا شُطّار!

فرددنا عليه بصوت واحد:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!

ثم نظر إلى المعلم الذي وقف متسمّرًا دون حراك وقد ارتسمت على شفتيه المنتفختين ابتسامة صفراء..

فأكمل المدير:

- أقدم لكم المفتّش.. سوف يحضر عندكم الدرس..

ثم عاود ينظر إلى المعلم وكأنه يقول له:

- لا حول ولا قوة إلا بالله..

وجلس المفتش في الصف وذهب المدير.. وتنحنح معلمُ الحساب ودب فيه النشاط.. وبكلمات يملؤها اللطف والحنان قال لنا:

- والآن يا شُطّار، تعالوا بنا نتعلم درس القسمة على اثنين..

وراح يشرح الدرس وهو سعيدًا مبتسمًا والمرح يملأ روحه.. والغريب في الأمر أننا تعلمنا هذا الدرس قبل يومين.. هذا لا يهمّ! ما يهمّني أنه لن يفتّش على الوظيفة.. والمهم أني نجوت والحمد لله.. الحمد لله الذي استجاب لدعائي.. وعادت ابتسامتي وأخذتُ اردّد مع الصف ما يقوله معلم الحساب.

قصائد مختارة

هي

هِيَ..
كَمِثْلِ طِفْلَةٍ..
لَمَحَتْنِي..
بِنَظْرَةٍ..
وَقَدْ تَعانَقَتْ..
رُمُوشُ عَيْنَيْها..
مَعَ شُعاعِ الشَّمْسِ..
وَانْعَكَسَتْ فِي مُقْلَتَيْها..
لَمَحاتُ الغُرُوبِ..
كَزَنْبَقَةٍ..
تَفَتَّحَتْ..
فِي أَوْجِ الرَّبِيعِ..
وَتَمايَلَتْ..
خُصالُ شَعْرِها..
كَصَفْصافَةٍ..
تَراقَصَتْ..
مَعَ النَّسَماتْ..
وَصِرْتُ أَنا ..
كَوَرَقَةٍ..
تَطايَرَتْ وَتَقَلَّبَتْ..
مَعَ النَّظَراتْ..
وَبَيْنَ عَيْنَيْها..
تَشَكَّلَتْ..
خُطُوطُ العِنادِ..
وَفِي حاجِبَيْها..
ارْتَسَمَتْ..
كُلُ الكَشَراتْ..
كَطِفْلَةٍ..
عَنِيدَةٍ..
بِلُعْبَتِها تَمَسَّكَتْ..
وَكُلّ مَنْ حَوْلَها..
أَبَتْ عَنْهُم..
وَتَمَنَّعَتْ..

مهزومة

مَهْزُومَةٌ هِيَ الكَلِماتْ..
يا عُمْرِي..
كَنَظَراتِي حِينَ اللقاءْ..
وَقَصِيدَتِي..
حَزِينَةٌ..
يَعْتَرِيها الوَهَنْ..
كَصَوْتِ الأَنِينْ..
كَلَحْنٍ قَدِيمٍ..
مَعَ اللَّيْلِ..
يَحِنّ..
مُكَسَّرَةٌ هِيَ المُفْرَداتْ..
كَرُمُوشِي..
وَجُفُونِي البالِيَاتْ..
يُخالِطُها النَدَمْ..
حِينَ الفِراقْ..
يُعانِدُها الزَمَنْ..
مَقْهُورَةٌ هِيَ الكَلِماتْ..
يا قَلْبِي..
كَلَطْمَةِ وَجْهٍ..
يَصْفَعُها العَدَمْ..
وَخَواطِرِي..
أَبَتِ الرَحِيلْ..
يَخُطُّها القَلَمْ..
عَلَى صَفْحَةِ الأَيّامْ..
تَرْسُمُها المِحَنْ..
مَهْزُومَةٌ هِيَ الكَلِماتْ..
يا عُمْرِي..

فراشتي

فَراشَةٌ...
بِلَوْنِ أَزْهارِ الحَياةْ..
بِلَوْنِ البَنَفْسَجْ..
وَغُرُوبِ الشَمْسْ..
فِي لَحْظَةٍ مِن لَحَظاتِ
الفَرَحْ..
كَفَرَحِ فَجْرِ العِيدْ..
وَالحِنّاءِ فِي كَفِّي..

وَقَمِيص جَدِيد..
عَلَى مَلامِح الزَّمان..
فَراشةٌ بِلَون الوُرُود..
تَراقَصَتْ..
رَفْرَفَتْ..
وَحَطَّتْ فِي كَفِّي ..
فَضاعَ الطِيبُ مِن حَوْلِي..
وَلاحَتْ نَسَمات مِن صَوْبِ
الغُرُوب..
تَجْلِبُ رائِحَةً عَطِرَةً فَوّاحَة..
تَعبِقُ المَكان..
وَتَهزُّ فِي أَوْتارَ الحَنان..
أَوْتار قَلْبِي..

وَطُمأْنِينَة النَّفْسِ ارْتَمَت..
تَراقَصَتْ..
عَلَى لَحْنِ الزَّمان..
فَراشةٌ بِلَون أَزْهار الرَّبِيع...
بِجَناحَيْن فِيهِما قَوْس الشِتاء..
وابْتِسامَة طِفْلٍ سَعِيد..
وَوَجْنَة طِفلٍ رَضِيع..
وَخَدّ عاشِقَةٍ أَرْتَسَم..
بِرَسمٍ بَدِيع..
فَراشةٌ بِلَون المَساء..
طارَتْ..
فَحَلَّقَتْ فَوْقَ رَأْسِي..
تُداعِبُنِي..

تُلاطِفُنِي..
تُوَدِّعُنِي..
حَيثُ بَساتِين الزُهُور..
وَعَبَق النِسيان..
وذِكرى المَكان..
طارَتْ وَرَفرَفَتْ..
فَابْتَعَدَتْ..
حَدّ السَماءِ...
وَاخْتَفَتْ..

الكاتب في سطور:

- الدكتور بديع عبد العزيز محمد القشاعلة.
- ولد في رَهْط في ١٢ كانون الثاني عام ١٩٧٥م.
- أنهى دراسته الثانوية في مدرسة رَهْط الثانوية.
- واصل دراسته في جامعة سانت بطرسبورغ في روسيا، إذ حصل على البكالوريوس في علم النفس عام ١٩٩٨م، والماجستير في علم النفس الإكليني عام ٢٠٠٠م، والدّكتوراة في علم النفس الطبي والسيكوفيسيولوجي عام ٢٠٠٦م.
- يعمل محاضر في علم النفس والتربية الخاصة في كلية كي الأكاديمية للتربية في بئر السبع.
- يشغل رئيس قسم التربية الخاصة في في كلية كي الأكاديمية للتربية في بئر السبع، حاليًّا.
- أخصائيّ نفسيّ في قسم الخدمات النفسية في مدينة رَهْط.
- أديب وشاعر واعد.
- نشر كتبًا في علم النفس والكثير من المقالات العلمية والعادية في مجال تربية الأطفال وعلم السلوك.
- **مؤلفـاته:**
  - جولة في علم النفس، ٢٠٠٥م.
  - زوايا إسلامية من وجهة نظر سيكولوجية، ٢٠٠٨م.
  - السّائر في الدّرب، ٢٠١٣م.
  - طفلي مشكلجي، ٢٠١٣م.

تم بحمد الله